الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر كل ثلاثاء عن جريدة الثورة - العدد 1112 2022/9/20

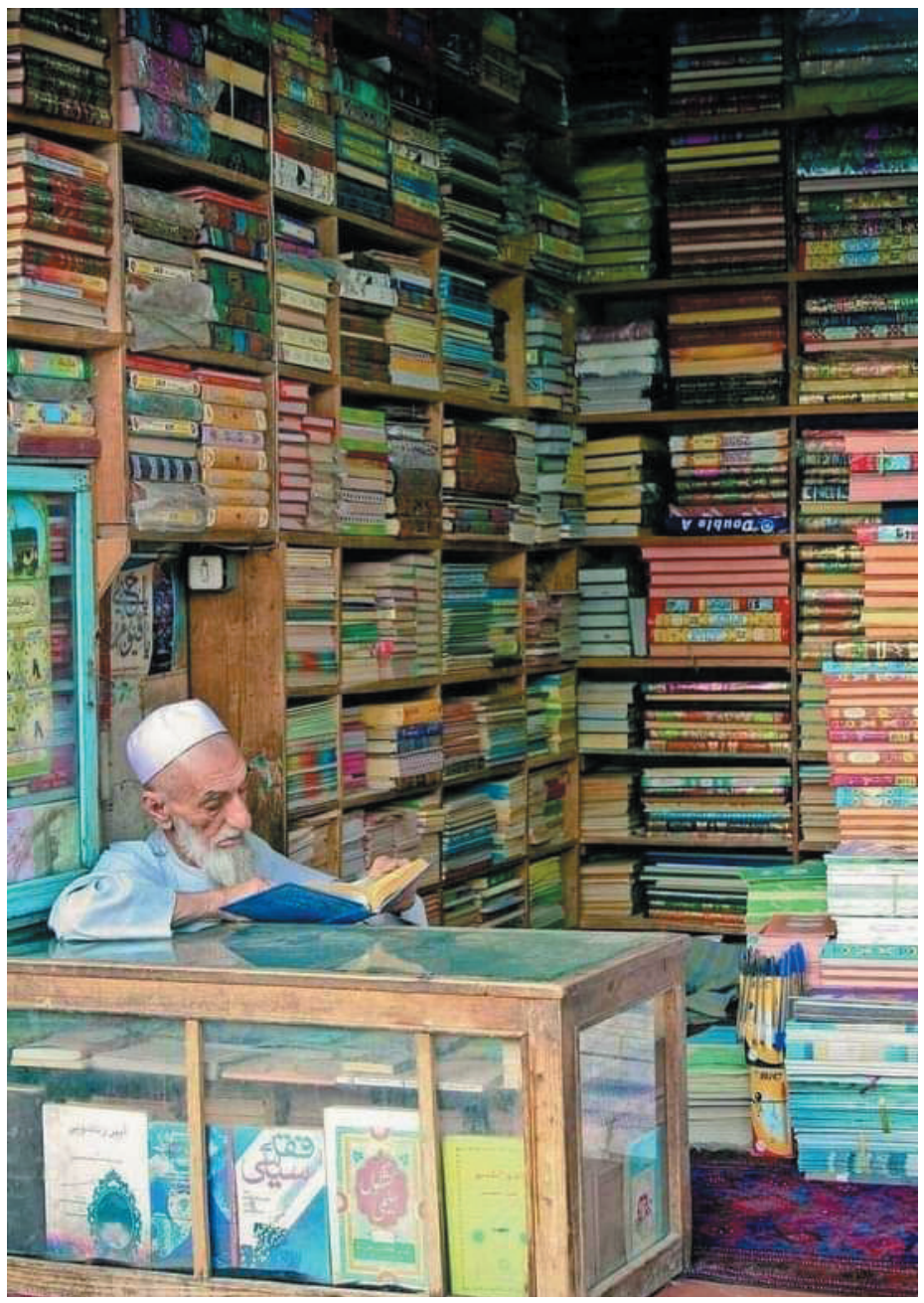

ملف العدد

الثقافة العربية
تحديات الراهن والمستقبل

أول الكلام

أشتات متنافرة...

▪ ديب علي حسن

من المفارقات المؤلمة في المشهد العربي بألوانه السياسي والثقافي والعلمي والاجتماعي والاقتصادي أنه عكس تطور الحياة والعالم ..العالم يزداد قدرة على التواصل والتفاعل بغض النظر عما في هذا من غموض .. والوطن العربي مع كل فورة تقنية يزداد تشظياً ..لن ندخل في أبواب المشهد السياسي، ولنقف عند تخوم الثقافة .. أبو الطيب المتنبي من العراق إلى سورية حلب إلى مصر إلى وإلى .. أبو العلاء المعري من المعرة إلى العراق ..وابن عربي من المغرب إلى دمشق ..لا حدود للحركة والتنقل ولن نبعد كثيراً قبل بضعة عقود حين كان يصدر كتاب في أي عاصمة عربية يصل إلى معظم المدن العربية الأخرى ولو تأخر قليلاً ..بل ستجد الكثير من المطبوعات ممهورة بختم يقول وصلت بالطائرة.. اليوم بالكاد يصل الكتاب من حي إلى آخر ..العوائق في القطر نفسه في المدينة نفسها .. انعزال وقوقعة هذا المشهد الأول ناهيك باجترار الماضي وعدم القدرة على التجديد وانسلاخ المثقف والمفكر عن بيئته التي يجب أن يكون صوتها وضميرها .. القطرية والانعزالية في الطروحات، ونبش ما يفرق لا ما يوحد.. الانغماس في أتون الثقافة الاستهلاكية وفورة الإنترنت التي يجب أن تكون عامل قوة وجذب ولكنها على العكس تماماً .. في كل مشهد ثقافي عربي تيارات تتصارع لا تتحاور لا تتكامل تهدم لا تبني ..لا تفكر نقدياً ..المصلحة الآنية السريعة هويتها .. لسنا بخير بثقافتنا، وهذا انعكاس لواقع سياسي واجتماعي عام ..ولكنه يصل بنا إلى الخراب ..شبابنا في لجة التيه لا يعرفون بوصلة الغد ما يعني أننا أمام جيل هجين لا تهمه أي قيم ولا قضايا .. المشهد لايسر أحداً وكل يعزف نشازه ويا للأسف سيكون النشاز كبيراً وضخماً ندفع ثمنه .. نتوق لثقافة تتفاعل نتحاور تتكامل تبني الإنسان لا ثقافة أشتات تتنابذ تفرق ولا توحد تزرع الكره حتى بين أبناء الوطن الواحد ..نريد ثقافة أبي فراس الحمداني والمعري والمتنبي والشريف الرضي ..نريد ألقنا الذي كان ذات يوم.

الورق متعتنا

الثقافة تنمية

العلوم الإنسانية ضرورة

هل الكتاب الرائج جيد؟

رئيس التحرير
أحمد حمادة

مدير التحرير
معد عيسى

إشراف
ديب علي حسن

الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

حصاد

رؤى مستعادة... الثقافة تنمية..

لقد أضحى الارتباط بين الثقافة والاقتصاد واقعاً مفروغاً منه والعمل بمقتضاه في كل السياسات الثقافية وهو يطرح أمام البلدان العربية تمشياً مزدوجاً فهي مدعوة إلى المحافظة على حضور الدولة وأجهزة القطاع العام كضامن للحد الأدنى من الإمكانات والرعاية والحماية وتعزيز مطرد لدور القطاع الخاص في الاستثمار في مجالات الصناعة الثقافية.

ولا تكفي هنا التشريعات والنصوص بل لابد من ترسيخ عقلية جديدة في أوساط الباعثين والمستثمرين تجعلهم يولون ميادين ما يسمى بصناعة المضامين الأهمية التي تستحقها.

والحضور العربي على ساحة المنافسة الدولية يستدعي إبداعاً متطوراً شكلاً ومضموناً ويتطلب بالموازاة مع ذلك قوة تصنيع واستثمارات داخلية قادرة على الإنتاج وعلى النشر والتسويق..

ويظل تمويل الثقافة والفنون تحدياً كبيراً خصوصاً بعد التراجع الكبير في تدخل القطاع العمومي في هذا المجال في أغلب بلدان العالم.

إما لدعوى ترك السياسة الثقافية لقوى السوق كما هو الحال في الولايات المتحدة الأميركية ..أو بسبب انهيار آليات التدخل القديمة ..وإن تطور وسائل الإعلام والاتصالات الدولية والتوسع في انتشار القنوات الفضائية(الان الشابكة) أديا إلى تعاظم سلطة الصورة ونفوذ الإعلام المرئي على وجه الخصوص من هنا يأتي الشعور بالخطر والتهديد لدى الشعوب الضعيفة وذلك لما يتمتع به الإعلام من قدرة على تعميم أنماط العيش والاستهلاك السائدة في البلدان المتقدمة.

وهنا نشير إلى أن الإعلام العربي مازال يعاني قصوره وعجزه عن صناعة صورة الوطن العربي فمازال غيرنا ينوب عنا في ذلك نيابة فيها من الإساءة والتشويه الكثير.

ولقد حان الوقت لأن نؤمن أن نهضة الإعلام ليست بالأقمار الصناعية والقنوات الفضائية إنما في القدرة على إنتاج الرسالة الإعلامية وهي ينبغي ألا تقتصر على الداخل بل ينبغي أن تتجه إلى الخارج معتمدة لغته ومستوى إتقانه وجاذبيته لتقدم له الصورة الحقيقية عنا.

هذا بعض مما كتبه المنجي الزيدي في مشاركته بكتاب الثقافة العربية أسئلة التطور والمستقبل وقد صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت عام ٢٠٠٣م وقد شارك فيه مجموعة كبيرة من الباحثين العرب نذكر منهم :جيهان سليم، عبد الله عبد الدائم، محمد احمد المجاتي، محمود أمين العالم، عدنان السيد حسين، علي وطفة، محمد جواد رضا، نظام محمود بركات ،عبد الفتاح الزين.

الرؤية مازالت هي بل ازدادت قتامة ويبدو أن كل الدراسات العربية التي تستشرف القادم وتعمل على بناء الإنسان تبقى حبيسة الأدراج والكتب التي نشرتها.

إصدار

العولمة التي شغلت العالم ممارسة وتنظيراً وغير ذلك مازالت تلقى الاهتمام من خلال الباحثين المجدين ومن الدراسات المهمة كتاب العولمة والسيادة وقد صدر حديثاً وضمن سلسلة «الكتاب الإلكتروني» عن «المشروع الوطني للترجمة» كتاب (العولمة والسيادة نظرة جديدة لمفاهيم القانونية والشرعية والدستورية)، تأليف: جين ل. كوهين. ترجمة: د. ياسر إبراهيم.

يرى المؤلف أنه:

غالباً ما ينظر إلى السيادة وإلى الدولة السيّدة على أنهما مفهومان من المفاهيم البالية، لكن كتاب العولمة والسيادة يتحدى هذه النظرة.. تحلل المؤلفة نظام السيادة الجديد المنبثق منذ تسعينيات القرن الماضي كما تظهره خطابات حقوق الإنسان وممارساتها، إضافة إلى التدخل الإنساني والاحتلال المتغيّر ونظام العقوبات، الذي تديره الأمم المتحدة والذي ينظّم القوائم السوداء للإرهابيين المزعومين.. فمن خلال تقديم نظرية منهجية للسيادة وتحوّلها في القانون الدولي وفي علم السياسة، تتطلع كوهين بمناقشتها هذه إلى الأهمية المستمرة للمساواة في السيادة.. فهي تعرض نظرية النظام العالمي الثنائي مؤلفاً من المجتمع الدولي للدول، ومن المجتمع السياسي الدولي، إذ تؤثر حقوق الإنسان ومؤسسات الحوكمة الدولية في القانون والسياسات والثقافة السياسية للدول السيّدة.. كما تدافع عن دسترة هذه المؤسسات، وذلك في إطار التعددية الدستورية.

كتاب (العولمة والسيادة نظرة جديدة لمفاهيم القانونية والشرعية والدستورية)، تأليف: جين ل. كوهين. ترجمة: د. ياسر إبراهيم، صادر حديثاً عن الهيئة العامة السورية للكتاب ٢٠٢٢.

كتاب العدد

حسب الترتيب الهجائي

أحمد علي هلال
دلال ابراهيم
سلام الفاضل
سلوى الحلو
عبد الحميد غانم
علم عبد اللطيف
غسان كامل ونوس
فؤاد مسعد
فوزي الشنيور
لينا كيلاني
مها محفوض
نبيل نوفل
هنادة الحصري

التحدّيات التي تواجه الثقافة العربيّة.. ذاتيّاً وموضوعيّاً

غسان كامل ونوس

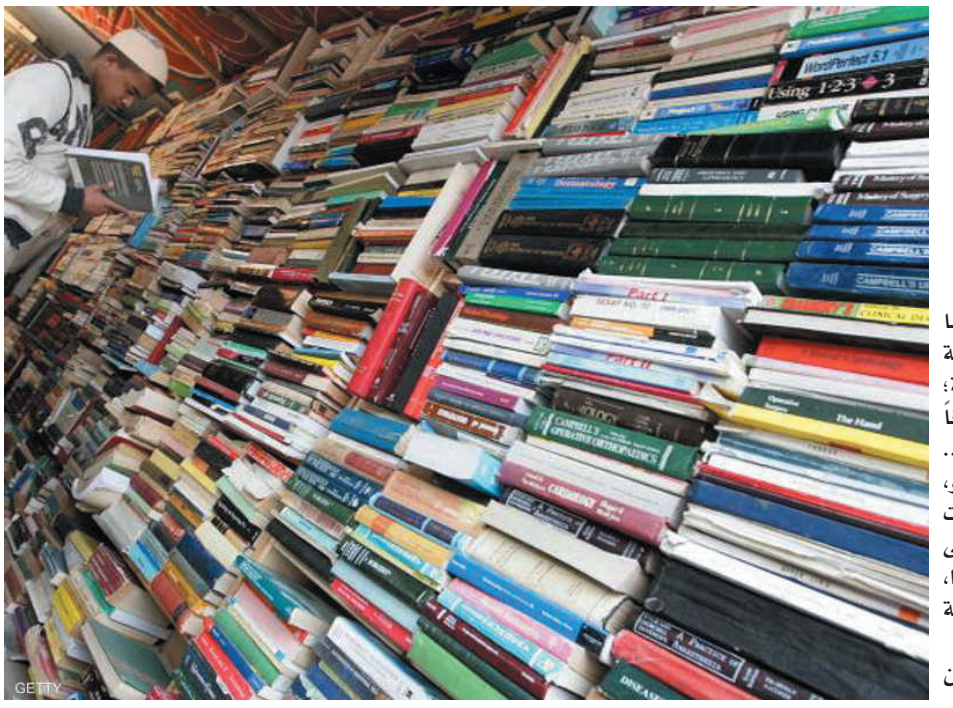

ليس طارئاً على الثقافة عموماً، والعربيّة منها خصوصاً؛ إن جاز التفريق، أن تكون في مواجهة تحدّيات قارّة ومتغيّرة، ذاتيّة وموضوعيّة؛ لكونها- الثقافة- في الروح والمنى والسعي؛ توقاً وعملاً، تطمح إلى التقويم المعنويّ والمادي.. ولم تخلُ الحياة، منذ تشكّل الوعي؛ ولن تخلو، من المشكلات والتناقضات والتبدّلات والمفاجآت والخيبات.. ولم تقف محاولات التجاوز إلى الأفضل، والتخلّص من العثرات ومسبّباتها، والتكيّف الوجدانيّ واليقينيّ مع أسئلتها المزمنة والعصيّة..

وليست حالنا اليوم أفضل ممّا مضى؛ إن لم تكن أسوأ!

فماذا تقول الثقافة للمطبّعين مع المعتدين؛ وفاتحي الأحضان والأسواق والساحات والمدوّنات؛ استسلاماً وتنازلاً وخذلاناً؟! وكيف تتصرّف أمام ضواغط الظلم والقهر والفقر والتشرّد؛ بفصولها وأشكالها ومفرزاتها... تلك التي يعاني منها المواطن في الوطن العربيّ، وفي المغترب القسريّ أو المختار؛ بصرف النظر عن أيّة نسبة بينهما؟!

وكيف سيكون فعلها وردّ فعلها، مع اضمحلال الانتماءات وضلال الولاءات، ووهن الإحساس بالهويّة والأمان والجدوى؟!

ومن أين للثقافة أن تبادر بجدّ، وتغامر بثقة، وتظهر بما يليق، وكما يفترض؛ وهي عزلاء، ومحاصرة، ومنخورة، ومهملة، وفقيرة، ومنبوذة؟!

الواقع بائس ومؤلم ومحبط؛ مع هيمنة المسلّمات؛ أقداراً أرضيّة وسماويّة؛ سلطة أبديّة، وتسلّطاً فطريّاً بما قلّ أو كثر، من أيّ كان، وفي أيّ مستوى! ومع افتراق القناعات عن المعلَنات من شعارات وعنوانات، والممارسات من تمظهرات وادّعاءات، ومع اقتراف القذف، والنمّ، والتشويش، والنيل من الآخرين والأخريات؛ بينيّاً وفضائيّاً، وتوزيع الشهادات والألقاب والجوائز، مقابل أثمان ماديّة وإعلاميّة وإعلانيّة وولائيّة، ومع شراء الأقلام وبدائلها من المشيرات والمحرّرات، وانتهاك الصفحات والنوافذ والمنابر؛ بمباركة أبناء الكار ومشاركتهم؛ حيث نمتدح صولجان السلطان، وهو من دون بطانة صالحة، وقد نكون منها، وقد يريدها على شاكلته؛ تفهم على نيّاته، وتسهر على رغباته؛ ونضغط على الإعجابات الصندوقيّة ضوءاً وورقاً، ونغضّ الرأي عمّن هو جدير؛ لأنّه معقّد وملتزم ومكتف وواثق.. ولا يعجبه العجب، ولا يفهم في الأخذ والردّ، وليس متمثّلاً تاريخاً وأعلاماً؛ (فالرسول قبل الهديّة!)؛ وليس ابن عصره؛ بل أفكاره وقناعاته خشبيّة مسوّسة؛ وقد نتّهمه فوق كلّ هذا، بالإعثار والتشويه والأذيّة للسيرة العليّة، التي لولاه وأمثاله، لكانت الجوزاء ملعب خيلنا، والثريّا بعض متاعنا!

وعلى الإقدام الثقافيّ العربيّ أن يأخذ في حسبانه أنّ أمامه حقّاً عقولاً متحجّرة، وأفكاراً متعفّنة، وذواكر مصطومة، ومناصرات وتحزّبات لمن كانوا، ونحن.. لمَ لا نكون؟! ومتى؟! وماذا عن آليات التفكير والتشكيك والتحليل والتأويل، والوصول إلى قناعة مريحَة وقرار مسوّغ؟! وإذا كنّا نختلف مع الجار القديم، والحضن الأدفأ، والصديق والرفيق والزميل، حين تتطلّب مصالحنا، وتضطرب أطماعنا، وتتضارب قناعاتنا؛ فلمن نتعصب إذاً؟! ومع من نتحالف؟! وعلى من؟! ولِمَ؟!

وماذا نفعل بذاكرتنا المتخمة بالأمثال («اليد التي لا تستطيع عضّها، قبّلها، وادع لها بالكسر!»، الأقارب عقارب»...) ومبجّلاتنا المشرعة والمخفيّة، المترفة بالأقوال والنصوص المتحفّزة لبرهنة الفعل غير البنّاء؛ («النبيّ قبل الهديّة» و«الحجّ يمحو الذنوب كافّة»...)؛ والحروب والمكر والدسائس والخيانات والاغتيالات لأولي الفكر والتفرّد والتساؤل والاعتراض؛ حتّى لخلفاء وعلماء ومتمايزين، وقادة ومناضلين، والإهمال والنكران لمتنوّرين متطلّعين إلى العلى؟! وهناك أقوال وسير وحكايا، تدعم الوثّابين المغامرين، وتحيي ذكر من صمدوا، وسهروا، وضحّوا، ونالوا خلوداً لإنجازاتهم، وأرواحهم.. ولكن!

لقد افتقدنا ظلّ الخيمة، ودفء الأسرة، وإشعاع القدوة، وشعلة التضحية، ومراسم الوداع المحلّى بالأمل، ومشاعر اللهفة وفضائل الحنين، وطقوس اللقاء.. فما الذي يحصّن الكيان، ويحمي القوام، ويميز العلامات الفارقة، ويمنع النخر والاختراق والنفاذ والتسوّس؟!

الزمن يحترق من سرعته، والعمر يتناذر بلا عوض، والناس شراذم وقبائل وماهم بسكارى!

وهناك مشكلاتُ تَلَقّي ما يظهر في العالم من مطبوعات ونظريّات وأفكار، جديرة بالاطّلاع والمتابعة؛ نفتقدها؛ نتيجة ضعف الترجمة، وعدم وجود المشاريع المؤسّساتيّة الحقيقيّة للترجمة، أو عدم كفايتها، وفعاليّتها؛ ومن ثم تصعب مواجهة عمليّات الاختراق، وترجمة ما يراد له أن يترجم ويسوّق ويعمّم ويلقّم؛ من خلال أفراد وهياكل ووسائل إعلام وسواها؛ من أفكار ومواد مشكوك في سلامتها، ونيّات مسوّقيها، وقدرة متلقّيها على تفنيدها وتجنّبها.

وماذا عن الإهمال المقصود للثقافة، من كثير من أصحاب القرار، وغير المقصود من العامّة؛ نتيجة التهميش المتّصل، والحاجات المعيشيّة، التي تستقرّ في الأولويّات الاهتماميّة؛ انشغالاً ذهنيّاً وعقليّاً وسعياً، لا يكاد يكفي، ولا ينتهي!

وأين ومتى التلقّي الفعّال، والفكر النقديّ، وقبول الآخر، والحوار المسؤول، والوعي بالاعتراض، والاستفادة منه، وتحسين شروط الحياة وظروفها؟! وأين النتاج النوعيّ، الذي يشكّل توجّهاً مرضيّاً عنه، أو تيّاراً في مقاربته، وإنجازاً في تأثيره، وسلطانه؟! وأين اختراقاته، وارياداته، ونهضته؟!

ولا ننسى ضعف الإعلام المهتمّ بالثقافة، والمختصّ بها، وضعف الثقافة لدى الإعلاميّين؛ على الرغم من التقدّم في الوسائل الإعلاميّة الممولة في بعض البلدان، من أصحاب رؤوس الأموال، التي لا تزهق أرصدتها بالمجان، أو من دون استثمار واستغلال وغايات.

ومع كلّ هذا، ومع انفراغ الأحياز والمسارات، تنتشر الثقافة البهلوانيّة، التي لا تحطّ على مستقرّ، ولا تغني، أو تسمن من جهل؛ أقصد الكتابات الفضائيّة.

إنّ ارتفاع أسعار الورق، ووسائل الطباعة والنقل والانتقال، جعل الكلفة، التي يتطلّبها إصدار مطبوعة، متعالية، لا يقدر عليها إلّا أصحاب القدرات المادّيّة والمسؤولون؛ هؤلاء الذين يتحكّمون بما يصدر بنسبة كبيرة، فيطبعون لأنفسهم، ولمن يروق لهم؛ وهم أقلّ ثقافة ربّما؛ بينما يتكوّم المثقّف غير القادر على الطباعة، مع مؤلّفاته، ومشروعاته، وأفكاره، في زوايا الموائل المحتشدة ببطون، ترقد على الطوى.. وإذا ما قدّر أن تطبع كتب، قد تستحق؛ فالأعداد هزيلة، وانتقالها متعذّر؛ بسبب القيود التاريخيّة المتجدّدة على الحدود والمنافذ؛ أرضاً وبحراً وسماء؛ ولأنّه مكلف أيضاً، ومن ثمّ سيكون عرضها مبتسراً، والإعلان عنها ضعيفاً؛ وليت طلّابها طوابير، ينتظرون، ويتدافعون؛ كما على نوافذ بيع الخبز، ومنصّات المواد التموينيّة، ومحطّات الوقود، وبوّابات الهجرة والجوازات!

إنّك لتشعر بالمرارة، حين تلتقي أندادك من دول شقيقة؛ باللغة نفسها، وهم ما يزالون على العهد من القضايا، التي تهمّك، وتهمّهم؛ لكنّك تكاد لا تسمع بهم، ولا تتواصل معهم، والإعلام يتنكّر لهم ولمفاهيمهم، وجرأتهم، وبسالتهم، وتضحياتهم؛ لكنّك تفرح لمثل هذا اللقاء، وسرعان ما يدخل نفق الذكرى، وطاحونة التذكّر والحنين؛ لأنّ المناسبات المماثلة، ستتأخّر، وربّما تتبخّر.

إنّ المثقّفين، أو الذين يصنّفون في هذه الخانة، لم يأتوا من السماء؛ وإن كان الحقيقيّ منهم، نعمة إنسانيّة! وهم أبناء تربية وتعليم وتفكير وتقديس وتلقين وتمجيد وتصفيق؛ فهم مثل بقيّة الشرائح الاجتماعيّة؛ فيهم الجادّ، وفيهم المستهتر، ومنهم المأزوم، والمقيّد، والمغلق، ومنهم المنفتح المبادر الوثّاب المغامر، وبين هؤلاء وأولئك، بقيّة الجموع والأفراد، المجيّرة للأقوى، وللأدسم، وهمومهم مختلفة، وتجاربهم متفاوتة، وتيّاراتهم متناحرة، والمنافسة بينهم إلغائيّة تدميريّة، ومَن كانت له الروح والنديّة والمقاربة الموضوعيّة الحسّاسة الشاعرة، يُحاصَر، أو يهمل، حتّى يخيب، ويبتئس! ويا له من واقع أليم، يوزّع شكاياته وولولاته ومواويله المقفرة؛ على الرغم من أنّ المطلوب، أن تكون الثقافة رائدة، ومولّدة مغرّدة؛ مبشّرة بالمنافذ والكوّات والآفاق، والخلاص لجميع الشرائح؛ من دون تفضيل أو انتقائيّة أو استثناء؛ كما يحدث للأسف في الثقافة العربيّة، وفي مختلف المجالات الأخرى؛ السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والرياضيّة والنقابيّة...

ويا لها من ثقافة، ويا لها من تحدّيات!

الواقع وآفاق المستقبل

نبيل فوزات نوفل

لا نريد الخوض في تعاريف الثقافة، وأهميتها، ودورها في بناء المجتمعات الإنسانية، وتطورها وتنميتها، ولا الخوض في واقع المثقفين وأزماتهم،فقد طُرح هذا الموضوع وكتب فيه الكتب الكثيرة، ودبجت فيه آلاف المقالات، وسنقتصر مقالنا على واقع الثقافة العربية الراهنة، وعمودها الفقري المثقف العربي اليوم.فمن ينظر في حال الثقافة العربية اليوم، سرعان ما يكتشف حالة الضعف والوهن التي تعانيه،فهي تعاني التنافر، والضياع، والاغتراب،والاستلاب، وبعدها عن قضايا الأمة الرئيسة، والإنسان العربي، وتعاني تحديات كبيرة، على الصعيدين الداخلي والخارجي،ويمكننا إجمال التحديات الداخلية للثقافة العربية بالآتي:

١-التخبط الذي يعانيه المثقفون العرب، وتبعية الكثير منهم للثقافات الغربية، وعيش بعضهم في الكهوف الغابرة، فكما نعلم أن المثقف موقف، وليس مهنة،وهو من يجهر بالحقيقة في وجه القوة، ولا يقبل بالصيغ السهلة، والأفكار المبتذلة الجاهزة، ولا تقوم لها قائمة بثقافة تسطحية،تجارية، سلعية،غنائمية، مداهنة، خانعة،وانتهازية. ولا قيمة لثقافة لا تدعو إلى الحرية، والعدالة الاجتماعية، والاقتصادية، ولا تحترم إنسانية الإنسان، ولا تواجه الطغيان والتسلط والاستلاب، فلا قيمة لثقافة ومثقف بلا قضية،ولا لون، ولا مذاق، ولا هوية، ولا انتماء له، والمثقف الحق هو من يكون داخل الفعل الإنساني، ومن يعبر من خلال إبداعه عن أوجاع الناس،وهو من يوحد بين فكره وإبداعه وسلوكه، وهو من تكون له كرامة فكرية وأخلاقية، يرفض فكرة الحياد، فلا شيء محايداً على الإطلاق، يتميز بالموضوعية والعقلانية، وتتسم أفكاره بالكفاءة النقدية، والأمانة العلمية، والنزاهة الفكرية، يؤمن بأن الثقافة عنصر مهم من عناصر تنمية الوعي البشري وتغذيته، وعليها الإجابة عن أسئلة تتعلق بمجتمعاتنا العربية ومشكلاتها، وعن قضايا عصرنا الراهن، ومساءلته، وامتحان قيمه ومفاهيمه. ومن يدقق في حال الثقافة السائدة اليوم والمثقفين في الوطن العربي يجد أنها تابعة ومستلبة، وتعاني من الوهن والضياع وذلك بسبب تشظي حال المثقفين وتبعيتهم للمدارس الغربية واتباعهم التقليد المبتذل لكل صرعة يصدرها لنا الغرب من دون دراسة وتمحيص،وإصرار بعضهم على البقاء في الكهوف المظلمة،يحارب أي بارقة ضوء جديد، فالفهم الخاطىء للحداثة وما بعد الحداثة وللتراث وغير ذلك،هو من أهم عوامل القصور وفقدان الفاعلية في الحياة العربية،ما أوقع الكثير من المثقفين في الاغتراب والاستلاب والجمود.

٢-ضعف المؤسسات الثقافية وعدم امتلاكها لمشروع وطني وقومي للثقافة واضح الملامح. وإن الجهات الثقافية والمنابر السياسية في كثير من الأحايين لا تعمل على خدمة الثقافة العربية والإنسان العربي وصيانة حقوقه والنشاطات معظمها بهلواني،غايتها إعلامية، تضليلية، فبقيت هذه المؤسسات كرتونية تابعة للأنظمة منفذة لرغباتها، تاركة المثقف يركض وراء رغيف خبزه،ليأكله مغمساً بالمرارة والقهر،إذا كان مثقفاً بحق،وليس طبالاً وزماراً.

٣-هيمنة النظم السياسية وصراعاتها على الثقافة، وسطوتها على الثقافة والمثقفين، فالصراعات والتناقضات بين الأنظمة العربية تنعكس على التواصل بين المؤسسات الثقافية العربية، فهذه الأنظمة التي خنقت روح الشعب وأغرقته بالشعارات وبالرعب، وفاقمت مشكلاته بالتبعية والنهب هي التي تدفع هذه الأجيال الممزقة والمهمشة إلى حلول طوباوية وإلى ردود فعل يائسة،ما أدى إلى صعوبة التواصل الثقافي بين المؤسسات والأفراد على الصعيد الثقافي وتشديد الرقابة على المواد الثقافية، باعتبارها من الممنوعات بل أخطرها، ما يعرقل انتقال الكتاب وتداوله بين أبناء الأمة.

٤-انتشار الأمية بأنواعها في الوطن العربي إلى جانب التخلف، وانتشار الفكر الغيبي التكفيري، والذي يشكل النسبة الكبرى من ثقافة الشعب.ونلاحظ انتشار الثقافة الغيبية وكتب التراث المليئة بالدسائس والمعالطات التي دسها أعداء الأمة التي تزيد المجتمع العربي انقساماً وتفرقة وتبقيه في الجهل والصراع والعداء.

٥-السياسات الاقتصادية والتنموية التي تطبق تعليمات البنك الدولي والليبرالية الجديدة المتوحشة،والتي زادت من فقر الناس، وتهميشهم، ما انعكس سلباً على الثقافة، فلا ثقافة مع الجوع.وبالتالي أضحى المثقف والعاملون في الثقافة الضحية الأولى لها بسبب عدم الاهتمام بدعم الثقافة والعمل على استمرار تجهيل المجتمعات ليسهل قيادتها،كما تدعي بعض الجهات التي تعمل على بناء مجتمعات من القطيع.

أما التحديات الخارجية فتتجلى بالآتي:انتشار ثقافة العولمة وسياسة الدول الاستعمارية العاملة على تهديم البنى الحضارية للأمة العربية،ونسف ثقافتها وهويتها وانتماءها الأصيل ونشر الانتماءات تحت الوطنية،والفكر المستلب والفردية، والأنانية،والخلاص الفردي بين الناس،ما ساهم في ضعف الولاء والانتماء، والعمل على إلغاء الهوية القومية والإنسانية، وتهميش ثقافة الشعوب المختلفة، وتنميط الإنسان، والمجتمعات، والتأكيد أن القيم والمباديء عقيمة لا جدوى منها، وإزهاق الروح البشرية، وتحويل الإنسان إلى رقم من الأرقام، وانتهاء التاريخ، واستمرار حالة الحصار الاقتصادي لتجويع الشعوب المقاومة للسياسات الاستعمارية، ونشر أفكار العولمة المتوحشة، لتدمير الشعوب وجعلها تسير في ركب الإمبريالية المتوحشة، وفرض ثقافتها على الشعوب لكي تبقى خانعة مستسلمة متخلفة ومرتعاً لنهب ثرواتها من قبل قوى الاستكبار والإمبريالية العالمية.

إن المطلوب اليوم للنهوض بالثقافة والمثقفين، وأن تأخذ الثقافة دورها في تنمية المجتمع وتحصين الأمة المبادرة إلى:

١-تشكيل مجلس عربي للثقافة مستقل عن الأنظمة السياسية العربية،له تمويل خاص تقتطع من ميزانية الدول العربية،ولا يؤثر في طبيعة عمل هذا المجلس يُعنى بنشر الثقافة العربية،وتسويقها، وانتقالها بين أرجاء الوطن العربي.وتقدم الكتاب بسعر مقبول للمواطن العربي،وتنشر الثقافة عربياً وعالمياً من خلال إيصال الإنتاج الثقافي العربي إلى العالم والمساهمة بترجمة الكتب المهمة في العالم للاطلاع عليها من قبل الإنسان العربي،وإقامة معارض ثقافية بين أرجاء الوطن العربي وفي دول العالم، للتعريف بالإنتاج الثقافي العربي،والارتقاء بالكتاب ومستواه فنياً وعلمياً ومحتوى، ونشر الكتاب الشعبي بسعر يستطيع أي مواطن عربي شراؤه.

٢- تنوير الفقير والمهمش والمضطهد عموماً، ومساعدته على امتلاك الوعي بالواقع الموضوعي وجعله حاضراً ومن ثم تثويره، ودعم المثقف الحيوي العضوي غير الوظيفي الذي يحلم بالتغيير، وبالهم القومي والمجتمعي والإنساني، ومسكوناً بهاجس إثارة الأسئلة، والمكاشفة،وتحريك ما يمكن تحريكه، المثقف الذي يعمل على ثقافة تقوم على فضح كل أنواع الاستبداد وأشكاله، والتصدي ومواجهة الطغاة،وكهنتهم وشيوخهم،ومناهضة المثقف الوظيفي،التجاري،الخانع، المداهن، الانتهازي الذي يعمل على تشكيل وعي زائف. إن الثقافة المطلوبة والمثقف المطلوب هو من يخوض المعركة ضد المثقفين الذين يزهدون بالحق، ويرتهنون إلى المصلحة وينتظرون الامتيازات، المثقف الذي يتقدم الصفوف لمواجهة المشروع الإمبريالي الصهيوني،مثقف الحق والموقف، الذي لا ينتظر من الثقافة الامتيازات والعطايا ويجعل المصلحة الوطنية العليا أولاً وأخيراً،ويسهم في تنمية الثقافة الوطنية التقدمية المنفتحة ونشرها وترسيخها وينحاز إلى الحق والخير والعدالة والحرية والجمال وكرامة الحياة والأوطان. ومحاربة التسطيح الذي يقوم به الكثير أو القليل من المثقفين والسياسيين بشكل مبرمج وممنهج،الذي يؤدي إلى هزيمة الأمة،لأن الهزيمة تبدأ بهزيمتها ثقافياً، ومواجهة الفكر التكفيري الخارج من الظلمات، وبناء ثقافة وطنية تقدمية منفتحة تناهض وتواجه الثقافة الرجعية المنغلقة.

ضرورة المراجعة النقدية المستمرة

عبد الحميد غانم

بعد سنوات الحرب والضغوطات التي تعرض لها السوريون في قوتهم وحياتهم اليومية وفي فكرهم وهويتهم ومستقبلهم، لم يكن الواقع الثقافي المعاصر بعيداً عن تأثره بهذه التحديات.

إذ يواجه واقعنا الثقافي المعاصر تحديات جمة وكبرى، تتجاوز أبعاد حياتنا المتنوعة، الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغير ذلك، وعلى قمة تلك التحديات تتربع التحديات الفكرية الثقافية وتحقيق الذات والهوية، وتبرز عند قاعدته التحديات المادية، ويحيط بذلك كله منظومة هموم متولدة، تعصف بواقعنا الثقافي، وتقض مضجعه، ما يتطلب منا وقفة جادة، وتعاط مبدع مع ثقافتنا العربية، بحيث نتجاوز بها نقاط السلبية التي تعج بخريطة واقعنا الاجتماعي ونستشرف بها المستقبل، لذا يعد من مهام ثقافتنا العربية معالجة هموم الواقع سعياً للخروج منها نحو منعطف حضاري جاد، نستشرف من خلاله المستقبل بإستراتيجيات منهجية وبفكر واع، نستطيع من خلاله اقتحام آفاق إبداعية جديدة، لغاية بلوغ جوهر ومضمون المنجز الحضاري المعطاء.

إذا أرادنا خروج ثقافتنا من واقعها الصعب ومن جمودها فلا بد لها من وقفة متأملة مع الذات، ومراجعة مستمرة لمشروعنا الثقافي وأساليبه وأدواته المعبرة عن هويتنا الذاتية ومعطيات فكرنا، لضمان توفر أقصى درجة يمكن الوصول إليه من القدرة على تحليل واقع ثقافتنا العربية، واستشراف مستقبلها في رؤية موضوعية جادة تتسم بالاتزان بين الأصالة والمعاصرة والانفتاح الجاد الواعي، لا المنسلخ نحو منهجية الترقيع والانسحاب من قيم أمته الخالدة.

ولعل هذه الثلة من الأفكار تشكل منظومة الأهداف التي يسعى مثقفو الأمة بكافة أطيافها، لغاية تحقيق حالة تلاق عربي مبدع في عصر الرقمية الذي أخذ يتسارع بأشكال مختلفة، في ظل الثورة المعلوماتية، وتحديات المرحلة الانعطافية التي مرت بها سورية والمنطقة، ما يحتم النهوض الجاد نحو التواصل الفكري والحفاظ على ثقافتنا، وتحقيق حالة بوح مفتوحة تجاه جرحنا النازف في هذا الصدد، ومعالجة منظومة الهموم التي تعتصرنا في هذا الاتجاه، في ظل تسام وتساوق رائعين نحو تقديم منظومة حلول واعية لهمومنا الثقافية.

إنّ ما شهدته سورية والمنطقة والعالم من أحداث وتحوّلات خلال السنوات الحادية عشرة الماضية في مجالات عديدة يدعونا إلى مراجعة واقع الثّقافة الذي وصلت إليه وتجديد أهدافها وهياكلها ومضامينها الموروثة عن العهود السّابقة.

وأبرز ما يميّز المرحلة الحاليّة تفاقم مشكلات الثقافة وهواجسها وافتقارها إلى مزيد من الاعتمادات والتّشريعات المناسبة؛ هذا، إضافة إلى بروز أشكال مستحدثة للممارسة الثّقافيّة على الشّبكة العنكبوتيّة، بل وظهور ثقافات مضادّة مما يشير إلى تشكّل واقع ثقافيّ مختلف خارج الأطر التّقليديّة للثّقافة؛ والسّؤال، هنا، من المسؤول عن تردي واقع الثقافة، هل المثقفون أنفسهم أم المجتمعات التي يعيشون في ظهرانيها، أو أنها مسؤولية الدول والحكومات والأنظمة؟ سؤال الإجابة عنه برسم كل هؤلاء.

هل أنّ من واجب الدّولة باعتبارها الطرف الأقوى والأقدر على التحول والتغيير أن تستوعب ذلك الواقع الجديد بتشعّبه وأن تضع له ما يناسب من هياكل وتشريعات ضمن المشروع الثّقافيّ الوطنيّ؟.

الواضح أنّ مقتضيات المرحلة، بما تحمله من ضرورات، تُلْزم الجميع من مثقفين ومعنيين في مختلف القطاعات في الدّولة بالنّهوض بذلك المشروع لا بالرّؤى المُسقَطة والتّعليمات الفوقيّة، بل بالسّياسات المستخلصة من الاستشارات العلمية الجادّة والدّراسات الواقعية والقاعديّة المعمّقة والمعطيات الإحصائيّة والمؤشرات الموضوعيّة التي توفّر مرتكزاً لرصد الحاجات الثّقافيّة والعمل على إشباعها تحاشياً لما قد يحدثه إهمالُها من توتّرات وآثار سلبيّة على المناخ الاجتماعيّ، علما بأنّ المشكلات أيّاً كانت لا تخلو من بعد ثقافيّ.

فوجودنا كمجتمعات في التاريخ والجغرافيا مرهون بالمقام الأول بوجودنا الثقافي، في الوقت الذي أصبحت المجتمعات الغربية تروج لثقافاتها وقيمها وأنماطها السلوكية المتناقضة مع ثقافاتنا المحلية، والتي باتت تهدد الخصوصيات الثقافية والحضارية لبلداننا وأوطاننا التي أصبحت تعيش حالة تبعية ثقافية من خلال ما أفرزته العولمة، والتكنولوجيا، فالثقافة العربية واجهت تحديات كبيرة تتطلب منا اتخاذ التدابير والإجراءات الصارمة والفعالة لمواجهة هذه الوضعية التي اخترقت المجال الثقافي لها والتي تهدد بتهديد خصوصيتنا الثقافية وكسر انتماءاتنا والتي أدت إلى مشكلة الوعي المستند إلى الهوية وكيف يمكن الحفاظ علهيا وتأكيدها.

وتر الكلام

موجة هادئة وسط همس متفرد...؟

سعاد زاهر

هل تتشابه التحديات الثقافية العربية...؟

وهل يمكن عدّها كتلة واحدة أو أن لكل بلد عربي تحدياته الخاصة النابعة من بيئته...؟

فيما مضى كان يمكننا الحديث عن مشكلات المشروع العربي الثقافي، أسباب تراجع المشروع النهضوي العربي...؟

ولكن اليوم مع تغير الحال، وتوسع الهوة بين البلاد العربية، هل يمكن الإقرار بالعودة إلى الاشتغال على مشروع عربي... أو مشاريع فكرية عربية متعددة يمكن أن تنضوي تحتها بعض البلدان...؟

وهل نحن جاهزون للبدء بمشاريع فلسفية وفكرية محدثة ضمن هذا الطغيان اللانهائي لتهميش الفكر...؟

وأين قادة الفكر في عالمنا العربي...؟

هل هم مصممو الأزياء، مشاهير اليوتيوب أو التيك توك، أو مشاهير الفن والغناء؟

التحديات التي تواجه مشروع عربي ثقافي ربما أكثر ما تتجسد في نمطية الثقافة السطحية، العابرة، التي انغلق الوعي عليها، وآثر الاستسهال في التقاطها والتعاطي معها...

جيل بأكمله يتربى على شاشات تكنولوجية ترمي بين أيدينا كل أشكال التسطيح والهشاشة المعرفية، فكيف سننطلق وسط كل هذه المعطيات نحو مشاريع نهضوية...؟

قد تبرز بصمات فردية وسط تجمعات بشرية هائلة، لكن الفردية هل تعطي تأثير الموجة البحرية حين يكون البحر هادئاً وبإمكان رواده الاستمتاع والإنصات لهمس متفرد...؟

الهيجان الذي نعيشه حالياً بفضل المتغيرات يجعل الأمواج المبتكرة مهما كانت قوية، تتكسر على هتافات تعلو مطالبة بكل ما هو مؤذ لبلادها، دون أن تتمكن أفكار الانتماء والهوية، من إيقاف الهدير في رأسها، لأنها أساساً تلتقط خيالات مبهمة يلفها الخواء الفكري، مجرد أشكال لا معنى لها، أصابها الصمم في فكرها وذاكرتها، وعقائدها المنهكة، نتيجة الاشتغال الطويل على ضخ مفاهيم تفريغ المعنى، وتغييب الجوهري، وإعلاء السطحي.

حال لايسر

علم عبد اللطيف

الثقافة في عمومية التناول..هي الشكل الأمثل لحالة المجتمعات في الآداب والفنون خاصة متقدمة ومتطورة في المجتمع المستقر المتنامي اقتصادياً واجتماعياً. ومتراجعة في المجتمعات غير المستقرة..نتيجة النزاعات والحروب وأنواع العنف.

هناك ما يدعى ثقافة الحالة، وهي تلك التي تكون من الأدوات الآنية. تمثل الاستقطاب الحاصل في المجتمع. ثقافة أداتية..لها طابع وظيفي، تقوم بدور السلاح لصالح هذا الطرف أو ذاك، وتقع في مصيدة التحيز للمصلحة. الثقافة في هذه الحالات هي في أدنى درجاتها القيمية. لا تمثل الضمير الإنساني في تجلياته الأخلاقية بل هي المصالح تزعم ثقافتها وتعممها، وحقيقة أن الحروب تعطل الثقافة..لا دور للثقافة بمواجهة عنف الأسلحة، وإذا تمثلت ببعض الأصوات القليلة الشجاعة..فلا فاعلية لها بسبب اختلال المقاييس لصالح السلاح.

ونلاحظ أن الثقافة سرعان ما تبدأ فعلها بعد توقف الحروب. مستفيدة من سقوط المراهنات على العنف سبيلاً لتحقيق المصلحة. وتنطلق بوتيرة متسارعة قبل أن تتراكم أسباب عنف جديدة. حصل هذا في أوروبا قبل الثورة الفرنسية، وخطت الثقافة خطوات متسارعة قبل عودة لغة المصالح وأدواتها..فكانت شرعة حقوق الإنسان وولادة الدولة السيادية وحق تقرير المصير للشعوب.فور توقف الحروب الكائفية والقومية في أوروبا. وظهرت عصبة الأمم بعيد الحرب العالمية الأولى. والأمم المتحدة والمنظمات والمكاتب المتصلة بها بعد الحرب العالمية الثانية.

في حالة المجتمعات التي تواجه تحديات الاقتصاد والنمو. تمثل ثقافاتها حالة متراجعة، وتفتح الباب لثقافة الغير المتغلب. تستورد مع الآلة أخلاق الآلة ولغتها. هذا مايدعى بالغزو الثقافي.وهو حالة مفهومة حين يترافق مع أنواع أخرى عديدة من الغزو والتدخل. المجتمعات التي تخرج من أنفاق النزاعات والحروب. تؤسس لثقافة أصيلة..بعيداً عن ظاهرة الاستقطاب والتمحور التي تعرفها ثقافة الحرب، وتمثل الثقافة في هذه الحالة حالتها الحقيقية التي هي لصالح الإنسان أساساً.

الثقافة العربية بحالتها القلقة في مرحلة النزاعات والتدخل الأجنبي. لا تبرز الشكل الأمثل لثقافة التقدم والتطور الإنساني والمجتمعي. هي تدور باحثة عن حالتها الأصيلة. وفي سبيل ذلك. سيبحث الكتاب عن طريق عودته إلى القراء تأليفاً وترجمة ونشراً..وسيتاح للأبحاث أن تنطلق وتؤسس لثقافة مجتمع مستقر يعتمد المثاقفة بدلاً من الحرب..والتواصل بدلاً من الغزو.

الثقافة العربية الآن..مقصية ومنعزلة..تنتظر أن يتاح لها الظهور في الكتب وعلى المسرح..وصالات الفنون.

سؤال في الهوية..؟!

أحمد علي هلال

ذات يوم جهر مثقف عربي بالقول: «الثقافة ليست بخير»، وإذا كان يعني في قوله هذا حيزاً بعينه، فالثقافة العربية بكليتها لا تتجزأ، وبالمعنى القطري الضيق، لأنها ملتحمة مفهوماً وهوية وماهية بالعروبة، بوصفها قماشة الهوية واللغة والمشتركات، ولعل السؤال الكبير في التحديات الجمة، سيعني السؤال في استحقاقات الثقافة العربية ومدى ارتباطها بإنتاج الوعي والقدرة على التغيير، والعودة مجدداً إلى أسئلة الهوية والأنا والآخر، فحصاً لمنظومة القيم والسلوك أكثر منها كثافة المهادات التنظيرية التي تسعى إلى تأبيد الأزمة بتواتر إشكاليات هذه الثقافة عبر التاريخ والواقع والراهن، وذلك ما يدخل أكثر في مقاربة الاستحقاقات الكبرى التي تحيل إلى الثقافة العربية ومساءلتها نقدياً ومجتمعياً، هل مازالت تمثل ذلك المشروع النبيل والتنويري الذي يرقى بالفكر والممارسة؟، وهل مازالت تمثل الضمير الجمعي للمسكونين بها هاجساً نبيلاً ومنهج عمل يرقى بالفكر ليأخذه إلى مديات الإنتاج لا الاستهلاك، والإبداع لا الاجترار، والاختلاف لا التماثل، صحيح أن ثمة تحديات من طبيعة ذاتية وأخرى من طبيعة موضوعية بحكم ماجاءت به العولمة واجتياح الثورة التقنية والعصر الرقمي، في مقابل سعي بائس فقير الاختصاص لإعادة إنتاج الجهل المعولم، ذلك الجهل المستقر، وليس العلم الناجز الذي يفتح في الآفاق بجدلية الوعي وتعزيز الهوية الوطنية أكثر، نسائل الثقافة بتراكمها في الضمير الجمعي، دون أن نتطير من التطورات والتحولات والانتقالات المتسارعة والتي ستترك أثرها في تغيير أنماط السلوك والتفكير، ولعلنا سنتساءل أكثر بفحص نقدي واع في أنساق الثقافة العربية وسياقاتها، والأدل تشظياتها بفعل «ماضوية» مازال البعض محكوماً بها، وبالمقابل «حداثة» ينبغي تعليلها لا التشدق بها تأثراً ومحاكاة فحسب، أو لحاقاً بركبها دون وعي، فالثقافة هي الصناعة الثقيلة وخط المواجهة الأول بامتياز، دفاعاً عن مستقبل أكثر منه إعادة إنتاج لماض مضى، وبفعل التحديات المتسارعة على المستوى المعرفي، ينبغي القول إنها تحديات مركبة، على المستوى المفاهيمي والإجرائي بآن، في مواجهة ما يعني استلابها للآخر، وبما يعني أفعال التنوير التي كانت إرهاصاتها في النصف الأول من القرن العشرين، وتراوحت بين الانقطاع وتشظيات الهوية، وثمة مثقفون عرب رأوا في الغرب على سبيل المثال «واقعاً مشكوكاً فيه» وبوصفه مشروعاً سياسياً واستراتيجياً يلقى ممانعة في مواقع عديدة، إذن ألا تحتاج الثقافة العربية في خطابها وممارستها إلى نقلة نوعية بعيداً عن أوهام ما سمي النخب، للدخول الواعي في العصر، بوعي الثابت والمتغير فيها حتى تمتلك مشروعها وتمثله، وقد تساءل المفكر العربي عبد الله العروي: «ما القيمة الأساس لنظامنا الفكري... الوفاء أم الإبداع؟»، ليتبدى سؤال الإبداع في الثقافة ذلك السؤال المنهجي الذي لا يتوسل زمنه الثقافي فحسب، بقدر ما يسعى إلى توظيف المفاهيم الجديدة التي تليق بحياتنا ووعي تطورها، بقدر التحدي ينبغي أن تكون الاستجابة حول مصير الثقافة بمرجعيتها المعرفية والنظرية، وداخل جدلياتها الهوياتية والمستقبلية، إنها جدلية الوعي انطلاقاً لتعزيز هويتنا الوطنية في قلب الثقافة العربية.

مآزق لا تحديات

لينا كيلاني

لكل مرحلة من الزمن ثقافتها التي تتأثر بمعطيات عصرها، وها هي الثقافة العربية تتأثر بشكل واضح بما أصبح العصر عليه من موجة غربية تكتسحه، وتغذيها ما تتيحه شبكة المعلومات من تبادل للثقافات، وتواصل فيما بينها.. إلا أن مأزقاً حقيقياً قد وقعت به الثقافة العربية عندما ألقت رداءها الحقيقي لتتدثر بآخر ليس من نسيجها.. فلو أننا أنشأنا بنكاً للتراث العربي على سبيل المثال لخرجنا من دائرة مَنْ أصبح يتحكم بتراث البشرية في وقتنا الحاضر، وهو ليس نحن.. ولو تساءلنا ماذا سنقدم للأجيال القادمة لتؤسس عليه بناءً صلباً يعبّر عن هويتنا التي تكاد تذوب في بحر الثقافات الأخرى لوجدنا أنَ علينا ألا نكتفي بالوقوف في موقع المتفرج من العالم وهو يسبقنا بخطوات واسعة.. فلماذا إذن لا نعقد المعاهدات مع الدول المتقدمة للاستفادة من التكنولوجيا المعاصرة كمحركات البحث العملاقة على شبكة المعلومات فتكون لنا الحرية الكاملة في وضع ما نشاء عليها، وما نريد من تراثنا دون تدخل، أو سيادة علينا؟

إن تراثنا الذي عبث به الغرب عبر الاستشراق، والاستعراب، والترجمة أحياناً يجب إعادته إلى أصله، والدلائل أكثر من أن تحصى فابن رشد مثلاً قد سلبوه حقه في أن يكون المعلم الثاني بعد (أرسطو)، وهكذا الأمر مع كثير من النظريات العلمية التي نسبها الغرب إليه، وحتى من خلال تحقيق المخطوطات العربية، أو ترجمتها فقد أبرز الغرب اسم المحقق، أو المترجم على حساب اسم صاحب المخطوط، والمثل واضح عندما نذكر اسم (فيتزجيرالد) الذي عُرف أكثر من (عمر الخيام) عندما ترجم الرباعيات. وعلى هذا أرى أنه علينا وضع الأمور في نصابها من جديد، وتصحيح ما قام به الاستشراق من حرف للمسارات.. ونحن ما نزال منبهرين بما هو عليه الغرب اليوم كما لو أننا نسينا إرثنا الحضاري الذي كان لبنة الأساس لكثير من العلوم والفكر، والآداب في العالم.

ومن جهة أخرى فالعولمة تكاد تلتهمنا بعد انزياح بعض المفاهيم لتحل محلها أخرى هي من الغربية أقرب منها إلى ثقافتنا.. وها هي هويتنا الثقافية تكاد تغرق في بحر العولمة الهائج.. إذ إن العرب عموماً لم يفلحوا في نقل ثقافتهم المعاصرة إلى اللغات الأخرى، واكتفوا بكم كبير من المترجمات عن الغرب ليكونوا في موقع المتلقي لا المؤثّر، وهم لا يكتفون بتقبل ثقافة الآخر فقط بل إنهم يذهبون أبعد من ذلك عندما يعتنقها بعضهم، ويتأثر بها شبابهم، وأطفالهم، ودون أن يطالبوا بأن يتقبل الآخر ثقافتهم رغم أن هذا الآخر قد سرق منهم إرثهم العلمي، والثقافي.

وقد أسوق مثلاً هو الأخوين (غريم) وقد خلدتهم ثقافات الشعوب، بعد الترجمة من الألمانية إلى لغات العالم الأخرى، وذاع صيتهم لدى الأطفال في كل الدنيا بعد أن رسخت قصصهم في الذواكر.. وهي ليست القصص بحد ذاتها وإنما ما استُلهم منها من التراث الألماني ليخرج في إطار قصصي استطاع إحياء تراث الأمة الأدبي واللغوي بعد أن أصبحَ في متناول يد كل الشعوب.. وهذا يدفعني للتساؤل: كم من مبدع عربي قدّم إنتاجاً مميزاً على ساحة الأدب ولم يفز بتخليد اسمه لدى العالم على غرار الإخوة (غريم)؟ أم إن صندوق كنوزنا قد ظلّ مقفلاً ليقع في مياه محيط مضطرب ولا سبيل لإنقاذه؟

إن توفير أرضية أو أساس اقتصادي متين إلى جانب توفير مراكز لانطلاق الإبداع، والتطوير هما عنصران أساسيان في استقطاب العقول وإيقاف هجرتها.. فلو أجرى أحدهم بحثاً علمياً في فرع ما من فروع العلم، أو الثقافة فلابد أن تكون هناك جهة مهتمة بهذا الفرع لتتبنى بحثه، على أن تكون عربية شمولية، وليست محلية إقليمية ضيقة لأن هذا يخلق نوعاً من المنازعات بين الباحثين.

ونحن على الطرف الآخر، على الأقل في القرن الماضي حتى الآن، لم نخلق رموزاً للأمة ماعدا الذين خلقوا أنفسهم عن طريق قيادة بلدانهم، وتسخير الإعلام لخدمتهم. أما الرموز القائمة حالياً فعلى الأغلب أنها كُرست من خلال انتماءات سياسية، أو غيرها، فمن الأجدر بنا إعادة التقييم والنظر، والفرز، والتصحيح قبل اعتماد الرموز كرموز. والفرز مهم جداً في هذا السياق كأن يكون أحد الرموز كبيراً في مجاله دون غيره من المجالات فلا تكفي شهادة دكتوراه فخرية لتجعل منه مثقفاً مثلاً، أو أكاديمياً، بل يجب أن يظل في سياقه فهذا قائد سياسي، والآخر حربي، ولكل مجاله الخاص به، والذي يتجلى تأثيره من خلاله.. فاختيارنا لرموز للأمة هو اختيارنا لوجهنا الحضاري، وتثبيت لثقافتنا، ولهويتنا القومية.

ثم لماذا لا يكون هناك صندوق أو بنك للإبداع العربي يرتبط بوحدة قياس للرأي العام العربي يقوم بالدراسات التي تتغلغل بين الجماهير لتفرز المبدع، أو تصل إليه؟ فالذي يعوم على السطح عموماً ليس هو المبدع الحقيقي، كما أن الأمر يحتاج إلى مراكز استطلاع، وحركة نقدية تفوق الإبداعية بل تسبقها، وتكشف عنها..

وعلى منهجية وحدة قياس الرأى العام العربي هذه ألا تستبعد أي قسم، أو شريحة من الشرائح الاجتماعية، والعمرية حتى يكون هذا الرأي العام قد تشكل من حقائق على الأرض وليس بالاكتفاء بنماذج من شريحة معينة لأن الإبداع هو ملك الجماهير كلها فهو يؤثر فيها كما يتأثر بها. وبهذا تتشكل وحدة عامة هي طابع لشعب، أو لأمة، حتى ولو كان ذلك في الفن، فمثلاً لا يُذكر الزنوج في أمكنة ما في العالم إلا وتذكر معهم موسيقا الجاز، ولا يذكر مستوى الجامعات وأهميتها إلا وتذكر أميركا، حالياً، وسابقاً بريطانيا، كما أن الدأب على العمل، وتقديسه، والالتزام بالنظام إنما من صفات شعوب آسيوية بعينها هي اليابان، والصين، وهكذا. ولهذا فعلينا اعتماد الطرق العلمية في استطلاعات الرأي لا العينات التي لا تعبّر عن المجتمع كله.

والأمر ذاته يكاد ينسحب على مشروع للثقافة لا يعتبر العائمين على الساحة الآن، أو ذوي البريق الزائف أنهم المبدعون، بل نقرر نحن من هم المبدعون حقاً، إذ يمكن أن يكون لدينا مئة شاعر ونكتفي بالاعتراف ضمناً، أو اختيار خمسة منهم فقط.

وفيما يخص الأطفال العرب بما أن الطفولة مرحلة قصيرة، وشائكة، ومهمة جداً في عمر الإنسان، وهي التي تبني شخصيته في المستقبل فإن الاهتمام بها من خلال بنوك للطفولة هو على درجة من الأهمية إذ له فروع متعددة تقع بين العلم والتعليم، والعلم هو ما يؤخذ من خارج الكتب أما التعليم فهو في المدارس، والمعرفة عموماً لها قنوات كثيرة في شبكة الاتصالات حالياً.

إن تنمية الشخصية الطفلية إنما تكون من حيث إشراكه فيما يدور حوله من أحداث حتى الكوارث الطبيعية، والأمراض والاوبئة، وأخذ رأيه باحترام سواء في البيت مع الأسرة، أو في المجتمع، أو في المدرسة، وعبر وسائل الإعلام، أو بلقاء المختصين في كل مجال، سواء أكانوا مسؤولين، أم غير مسؤولين.

أما الفنون فبابها عريض جداً ويعمل على تنيمة الذوق الجمالي، وله عدة فروع أيضاً من مسرح، وغناء، وشعر، وموسيقا، وقصص، وربما ألعاب تسلية، وممارسات في مدن الملاهي أو النوادي، وللرياضة كذلك دور.

وحول الكتاب فإنني أرى أنه ليس المهم هو الكتب بل ممارسة القراءة، والاطلاع، والتركيز على إيصال هذه الكتب إلى الجماهير من خلال قنوات متعددة، إضافة إلى جعلها متوافرة ككتب إلكترونية، وتخفيض سعر الكتاب على أهميته. أما معارض الكتب فيجب أن يعاد النظر فيها لا أن يُعرض في أروقتها ما هب ودب بل المميز من الكتب، بشمولية لجميع البلاد العربية لأن المعرض ليس تجارياً، ولا ربحياً فقط بل هو مشروع ثقافي صميمي.

وتحدثني يا محدّثي بعد كل هذا عن تحديات.. وأنا أراها مآزق لا تحديات.

زاوية حادة..

إنتاج المعرفة..

غسان شمه

على مفترق الحضور والغياب، التأثر والتأثير، الاستهلاك والإنتاج، يبدو السؤال في هذا التوقيت، على جانب كبير من الأهمية ونحن ننظر ونتأمل في واقع الثقافة العربية، والنتاج المعرفي العربي على صعيد العلوم الإنسانية، في مختلف فروعها، وعلى صعيد البحث العلمي الذي بات اليوم حجر الأساس لعالم متسارع في كل شيء..؟ تبدو لوحة المشهد الثقافي والمعرفي العربي اليوم في حالة من الفقر المتزايد على صعيد الإنتاج المؤثر بسبب ضعف هذا الإنتاج إلى حد التلاشي في بعض الفروع، خاصة على صعيد الفلسفة والاجتماع وحتى في مجال النقد الإنساني والأدبي في عصرنا الحديث.. من المعروف أن المستهلك غالباً ما يخضع لشروط المنتج، ونحن هنا نتحدث عن الإنتاج العلمي والفلسفي والثقافي الذي قطعت فيه الثقافة الغربية أشواطاً واسعة تدفعنا، في الحد الأدنى، للتوقف ومطولاً، أما واقعنا الذي نفتقد فيه للمقدرة على التأثير في جريان هذا النهر الصاخب، في ضخ جداول معرفية تميزنا ببصمة ما.. في ميدان البحث العلمي، مثلاً، يشير المختصون إلى ضرورة تخصيص الدول، المعنية في هذا المجال، إلى ما تصل نسبته لواحد بالمئة من الناتج القومي لكي يحقق البحث العلمي غايته..فما نسبة ما تخصصه الدول العربية في هذا المجال؟ وفق المنظمة العربية للثقافة والعلوم لا تصل هذه النسبة لحدودها الطبيعية في غالبية الدول العربية.. وفي السياق الثقافي أيضاً، وفي إحصائية تعود لما تنشره الدول العربية من عناوين تصل إلى خمسين ألف تشير إلى أن اسبانيا، وهي دولة أوروبية صغيرة نسبياً، تنشر ما يزيد عن ذلك.. والسؤال اليوم: ما حجم التراجع في ظل الظروف الاقتصادية الجديدة للعديد من الدول العربية ؟.

تحديات ومعوقات تواجه السينما العربية

فؤاد مسعد

الفيلم التونسي (لآخر نفس)

رغم اختلاف واقعها في كثير من الأحيان بين بلد عربي وآخر إلا أنها تتشارك في العديد من التحديات التي تواجهها وتعتبر قاسماً مشتركاً فيما بينها، إنه حال السينما العربية اليوم التي تقف في إطارها العام على مفترق طرق متحدية جملة من المصاعب والعقبات، لعل أهمها يتعلق بالجانب الاقتصادي بما في ذلك تكاليف العملية الإنتاجية والتوزيع والعرض، وصعوبات إيجاد التمويل اللازم والكافي، وافتقار غالبية الدول العربية إلى استديوهات مجهزة على نحو عالٍ لإنتاج الأفلام، ومن ومعوقات الإنتاج السينمائي قرصنة الأفلام مما يعني تكبّد المنتج السينمائي خسائر كبيرة، وآلية تعاطي الرقابات العربية مع المُنتج الإبداعي، والحاجة إلى التقنيات والتجهيزات الحديثة لمحاولة اللحاق بركب التطور خاصة فيما يتعلق بتقنيات الكمبيوتر والغرافيك والخدع، وانتشار المنصات الرقمية على الانترنيت التي شكّلت بديلاً مغرياً للجمهور أمام ارتفاع ثمن التذكرة السينمائية وسهولة مشاهدتها وطبيعة موضوعاتها وما تحمله من إبهار بصري، ومن التحديات الهامة أيضاً موضوع الهوية السينمائية الأمر الذي يتراوح من سينما إلى أخرى وتدخل فيه مجموعة من العناصر بما فيها التبعية للتمويل، وهناك ما شهده المشهد السينمائي العربي من تحولات وتغيرات أدت إلى توقف أو تأجيل مهرجانات ضخمة، والتداعيات التي نجمت عما عاناه هذا القطاع خلال جائحة كورونا وانزياح أوقات التصوير والعروض، ويضاف إلى هذه التحديات العديد من الصعوبات الخاصة المتعلقة بوضع السينما في كل بلد عربي على حدة.

ننطلق بداية في الحديث عن حال السينما السورية التي تحاول عبر ما تقدمه المؤسسة العامة للسينما المحافظة على حضورها عبر مجموعة من الأنشطة أبرزها إنتاج أفلام طويلة وقصيرة وأفلام هواة والسعي إلى تفعيل الحراك السينمائي والمشاركة في عدد محدد من المهرجانات، ولكن كثيرة هي التحديات التي تواجهها ومن أبرزها غياب القطاع الخاص عن الساحة إلا فيما ندر، وزادت الصعوبات حدة خلال فترة الحرب التي شنت على سورية، فلايزال مهرجان دمشق السينمائي الدولي غائباً منذ تعليق دورته التاسعة عشرة عام ٢٠١١، وشكّل الحصار المفروض سبباً هاماً في غياب أفلام سورية عن مهرجانات وتظاهرات سينمائية عالمية هامة كما انعكس سلباً على تحديث الصالات السينمائية ومدها بالتجهيزات اللازمة في مختلف المحافظات فباتت تقف عاجزة عن تلبية طلب الجمهور، وتأثر جذب الأفلام العالمية الهامة بالمقاطعة والعقوبات الجائرة، ومن التحديات أيضاً أهمية تفعيل حضور المكتبة الوطنية السينمائية (السينماتك) لتكون مركز إشعاع وتنوير سينمائي للمهتمين والباحثين، ويبقى هناك الكثير من الصعوبات ولكن مما لا شك فيه أن مواجهتها تحتاج إلى تضافر مختلف الجهود وإيجاد السبيل الأفضل لدخول القطاع الخاص الواعي والمثقف الذي يحمل هاجساً حقيقياً ليكون له حضوره في الحراك السينمائي، ليكتمل المشهد بين القطاعين الخاص والعام ويتم ترسيخ دعائم صناعة سينمائية حقيقية.

تعتبر مصر الأولى عربياً في الصناعة السينمائية، ولكن هذا لا يعني أن حال السينما فيها على أفضل وجه، فهناك الكثير من التحديات التي تعرقل هذا الحراك من أهمها طبيعة الأفلام التي بات يتم الترويج لإنتاجها تماشياً مع مفهوم (شباك التذاكر) الأمر الذي أخذ أبعاداً قد تسيء في أحد أوجهها لطبيعة الإنتاج السينمائي ككل حيث درجت أفلام المقاولات التي تعتمد على البلطجة والعنف والأكشن والمخدرات وما يُمكن أن يُدس فيها من مشاهد لجذب المتلقي بأي ثمن وتراجع مستوى الأفلام الكوميدية، وإن كانت هناك أفلام تسير عكس هذا التيار إلا أن عددها يبقى أقل بكثير، الأمر الذي انعكس سلباً على مكانة الفيلم وآلية توزيعه وشرائه لصالح المحطات الفضائية، وعلى صعيد آخر غاب عن عملية الإنتاج السينمائي أسماء هامة كان لها مكانتها المتميزة فيما كانت تُقدم من أفلام، كما تراجع تمويل الأعمال الهادفة والجادة، وما زاد من الطين بلة قرصنة الأفلام المصرية مما أثّر على عرضها وبيعها، ولا تتوقف المصاعب هنا وإنما تمتد إلى دور العرض، فرغم عددها المقبول نسبياً مقارنة بالدول العربية الأخرى إلا أن هناك محافظات تفتقر لها، واليوم هناك مناشدات من سينمائيين ونقاد مصريين لأن يكون هناك تدخلاً لصالح عودة السينما المصرية إلى مسارها ودعم التجارب الجادة والهادفة والهامة وتفعيل تشريعات وقوانين تضبط إيقاع عملية الإنتاج السينمائي.

أما في دول المغرب العربي فقد استطاع عدد من الأفلام المُنتجة فيها الوصول إلى المهرجانات العالمية الكبرى، ويُحسب لهذه الدول تعدد المهرجانات السينمائية فيها، ولكن هذا لا يعني أن وضع السينما فيها بخير فهو يعيش تحديات على أكثر من صعيد، خاصة فيما يتعلق بضعف مصادر التمويل، مما جعل الكثير من الأفلام تُنجز بشراكة ودعم وتمويل أجنبي والذي غالباً ما يفرض شروطه بشكل أو بآخر بما يتلاءم مع أهدافه و رؤيته وتطلعاته ومواقفه، ما يخلق حالة من الجدلية بين إملاء الشروط وبلورة الهوية، فالجهات الأجنبية الممولة والداعمة كثيراً ما تأخذ أو تستبعد النصوص وفقاً لطبيعة الموضوعات المطروحة فيها، رغم أن هناك (على سبيل المثال) أعمالاً تونسية وصلت إلى العالمية بفضل دعم شركات الإنتاج الأجنبية، ويتأرجح ما يتم إنتاجه من أفلام بين الصيغة الفنية الجمالية والصيغة التجارية التي تطرح القضايا المثيرة والغريبة عن المجتمع فتسلط الضوء على استثناءات قليلة وأفعال نادرة وتصورها وكأنها القاعدة وبذلك يتم تغليب الجانب التجاري والمادي على الجانب الإبداعي والإنساني، ومن التحديات أيضاً غياب العديد من المنتجين الحقيقيين وتقلص عدد صالات العرض واستفحال مشكلة القرصنة التي تؤثر سلباً على المردودية.

الأمر نفسه نجده في السينما اللبنانية من ناحية صعوبات التمويل وقلة المنتجين واللجوء إلى التمويل الأجنبي ما يهدد هوية العمل ككل خاصة أن الأمر لا يقف عند التمويل فقط وإنما يتعداه هنا إلى الجمهور، فمع تراجع عدد الصالات وصغر السوق المحلي وعدم قدرته على تأمين العدد اللازم من المشاهدين لتغطية تكاليف الفيلم بات الجمهور في الخارج هو المستهدف من الفيلم المُنجز أصلاً بتمويل من صناديق أجنبية أو بشراكة غربية، وبالتالي يواجه هذا القطاع الذي مرّ بمراحل غير منتظمة الكثير من التحديات الاقتصادية والثقافية رغم تحقيق عدد من الأفلام اللبنانية حضور لافت في مهرجانات عالمية.

في حين تتشابه السينما الخليجية بالهموم والتحديات التي تواجهها بما فيها محدودية الأماكن الصالحة للتصوير وإشكالية التوزيع التي تعتبر معضلة رئيسية على الصعيدين المحلي والخارجي والحاجة إلى الدعم والاحتضان المادي والفني لتستطيع إنجاز أفلاماً يكون لها قاعدة جماهيرية محلية، أما السينما في العراق فرغم أنها تحقق إنجازات جيدة إلا أن هناك تحديات وعوائق تقف في وجهها، بما فيها مشكلة قلة عدد الصالات وتوزعها بين المحافظات، إضافة إلى التمويل والإنتاج ومحاولة اللجوء إلى تمويل خارجي لدعم الإنتاج.

العلوم الإنسانية ودورها في توجيه الاحتمالية البشرية

سلام الفاضل

تتقاطع في الواقع العلوم الإنسانية والعالم الحقيقي في أكثر المناطق أهمية؛ ومن هنا يبرز الدور المحوري للعلوم الإنسانية التي نحتاج إليها بسبب أهميتها العملية في مساعدة صنّاع السياسة، والاقتصاديين على مواجهة القضايا التي تؤثر تأثيراً مباشراً في حرياتنا المدنية، ونواحٍ عدة من اقتصاداتنا الحديثة.

والكتاب الصادر مؤخراً عن الهيئة العامة السورية للكتاب، ضمن «المشروع الوطني للترجمة» تحت عنوان (لماذا نحتاج إلى العلوم الإنسانية؟!)، وهو من تأليف: دونالد دريكمان، وترجمة: زينة المعلوف، ومراجعة: د.باسل المسالمة، يسلط الضوء على الحاجة إلى العلوم الإنسانية عبر عرض نطاق واسع من القضايا الجدلية، بدءاً من مستقبل الطب ذي التكنولوجيا الحديثة، وصولاً إلى طبيعة الحرية الدينية، وغيرها من القضايا الأخرى بهدف الحصول على أجوبة عن أسئلة محددة تتعلق بالسياسة العامة، وطبيعة العلوم الإنسانية التي نحتاج إليها، والتي بإمكانها مساعدة صنّاع القرارات الحكومية في التوصل إلى أجوبة تعزز بالشكل الأمثل الصالح العام.

وفي رحلة البحث عن تلك الإجابات لم يلجأ مؤلف الكتاب إلى آلية تقليدية تتوقف بداية على تعريف العلوم الإنسانية، وتبيان الغرض منها، بل إنه سعى عوضاً عن ذلك إلى محاولة وصف سبب الحاجة إليها، ومن ثم البحث في المكان الذي يمكن أن تكمن حاجته فيه، مسخّراً في خدمة ذلك خلفيته الأكاديمية والمهنية المتنوعة على نحو غير اعتيادي، رغبةً منه في جلب بعض الأفكار الجديدة التي من شأنها أن تسهم في إعطاء نظرة أكثر شمولية حول الضرورة التي ما تزال العلوم الإنسانية تمثّلها في عالم اليوم.

وقد أوضح المؤلف في مقدمته أنه قد قام بتأليف هذا الكتاب: «من أجل المشرّعين وصنّاع السياسة التعليمية، والقائمين والرؤساء الذين يقررون أين تُنفق موارد التعليم العالي المحدودة، والذين ركّزوا اهتمامهم بشكل متزايد على تعزيز مجالات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات. كما أنه يسعى إلى التحدّث مع العلماء وروّاد الأعمال في مجالات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات الذين قد يكونون، وبشكل متناقض من أكثر الخاسرين بسبب إضعاف العلوم الإنسانية. وأخيراً، إلى طلاب وعلماء العلوم الإنسانية الذين أشجع عملهم...».

محتوى الكتاب

يقع هذا الكتاب في خمسة فصول يناقش الأول منها السبب الذي يفرض على المجتمع أن ينفق الأموال مقابل شيء كالعلوم الإنسانية التي تبدو بعيدة عن الاقتصاد المعاصر ذي التكنولوجيا المتقدمة، ويطرح إجابة بسيطة في الجواب عن هذا السؤال تتمحور حول أن التطورات التكنولوجية الأكثر إثارة وأهمية اقتصادياً، فضلاً عن الاعتراف بكثير من حقوقنا وحرياتنا الأساسية تتطلب إسهامات مستمرة من الفلسفة والعلوم والسياسة والتاريخ والفروع الأخرى، التي كانت قد عالجت الأسئلة الأساسية بصورة تقليدية.

ويصف الفصل الثاني النظرة المنتشرة بصورة متزايدة للجامعات بوصفها محركات للابتكار، التي تحفّز اقتصادات الولايات المتحدة وكثير من دول أوروبا الغربية، كما يركّز بشكل خاص على الدور الجوهري للعلوم الإنسانية الذي تؤديه في النمو الاقتصادي الناتج عن أبحاث الطب الحيوي، الذي يشكل مصدراً لمعظم المنح الحكومية والشركات الفرعية ورسوم الترخيص في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا.

في حين يتجه الفصل الثالث إلى ساحة مختلفة تماماً، حيث يسلط الضوء على تلك المنطقة حيث أثّرت العلوم الإنسانية عميقاً في جودة الحياة المعاصرة، كما أنه يبحث بعناية في عمل القضاة، ومن يفسرون الدساتير، وغيرها من الوثائق الأساسية الخاصة بالمجتمع المدني، ويبتّون في حقوق المواطنين.

ويتحول الفصل الرابع نحو علماء العلوم الإنسانية الذين تشتد الحاجة إليهم، والذين قدموا دفاعات قوية عن مجالاتهم بالفعل، فالبنسبة إليهم ليست الفنون الليبرالية ذات قيمة جوهرية فحسب، بل إنها أساسية لتدريب المواطنين على القيام بواجباتهم في المجتمعات الديمقراطية؛ فالعلوم الإنسانية التي يقترحونها بإمكانها أن توجه الجميع في مجال الاحتمالية البشرية وعمقها.

ويناقش الفصل الخامس والأخير وجوب استعداد المجتمع لدعم أبحاث العلوم الإنسانية - داخل الأوساط الأكاديمية وخارجها - ليكون في وضع يسمح له بالحصول على التوجيه الذي يحتاج إليه لمعالجة قضايا السياسة لدى عامة الناس. ولدى القيام بذلك، على المجتمع الاعتراف أنه، كما هي الحال في المجالات الأخرى، يمكن للأبحاث أن تصبح مهمة بعد سنوات كثيرة من اكتمالها، مع الإشارة إلى ضرورة بحث علماء العلوم الإنسانية عن فرص للمشاركة بشكل أكثر انتظاماً وفعالية مع الجمهور لإلقاء الضوء على الأهمية المستمرة لعملهم.

وفي الختام يمكن القول بأن هذا الكتاب يشكل حجة حول الأهمية المحورية للعلوم الإنسانية، وحاجتنا المستمرة إليها خدمة لسياساتنا واقتصاداتنا، وفروع علمية أخرى.

الورق متعتنا ...

مها محفوض محمد

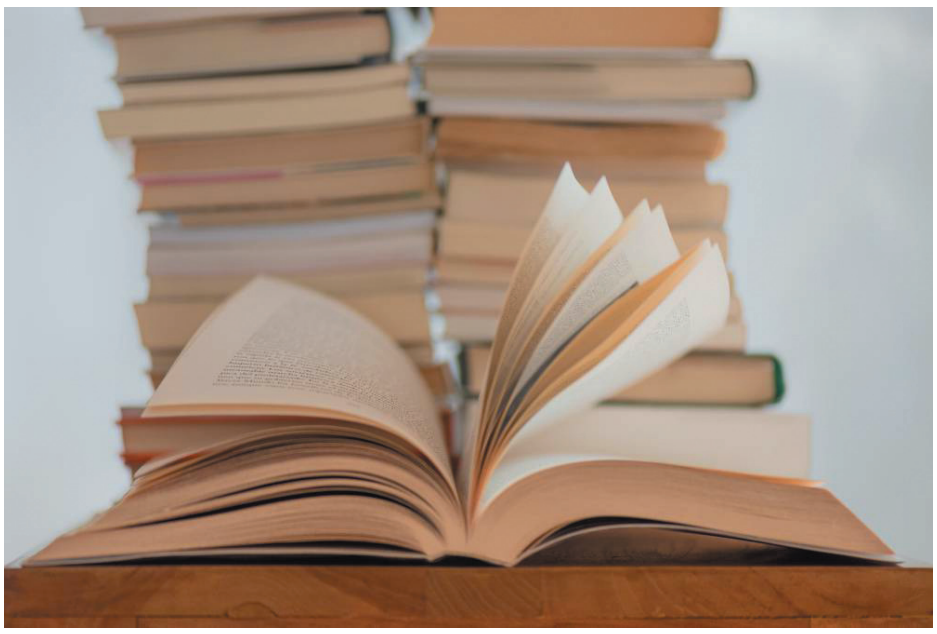

بعد أكثر من أحد عشر عاما على الاستفتاء الذي جرى عام ٢٠١١م لابد من مقارنة بين ما كانت عليه الإجابات حينها، وواقع الحال الآن السؤال الملح: هل خابت الآراء؟ هل أصابت؟ ماذا يقول المشهد الثقافي الغربي ومنه الفرنسي حول الكتاب الرقمي ولاسيما في ظل الوباء كورونا؟

هل فعلا وأدنا الكتاب الورقي إلى غير رجعة ؟

لن نستبق الإجابات سوف نعرض ما كان ونلتقط وقائع ما هو الآن

السؤال:إذا كانت المتعة بتقليب الصفحات لم تختف بعد فهل للحداثة أن تهدد عالم الكتاب الورقي؟

للوقوف على حقيقة الأمر ومعرفة موقف القراء أمام استخدام الكتاب الرقمي بدلاً من الورق المعتاد، قامت صحيفة لوفيغارو بالتعاون مع معهد«واي للرآي» باستفتاء حول هذا الموضوع بتوجيه سؤالين بسيطين إلى الفرنسيين: الأول على ماذا تعتمدون غالباً في قراءاتكم والسؤال الثاني عن العلاقة المستقبلية بهذا الصدد؟.

وكانت الإجابات حينها:جواب السؤال الأول جاء قوياً وواضحاً:نعتمد الكتاب الورقي لأن الورقة لم تمت، ويرى الرأي العام أن المستقبل مازال رحباً أمام الورق فتسعة فرنسيين من أصل عشرة يقرؤون اليوم الكتاب بنسخته التقليدية وورقه المألوف، وهذا الرقم مهم جداً كما أنها المرة الأولى التي يقوم بها معهد مختص بإجراء سبر في قراءات الناس اعتباراً من عمر الثمانية عشرة ومافوق، وجواب السؤال الثاني كانت له دلالته أيضاً إذ إن فرنسياً من أصل خمسة يرى أنه سيقرأ الكتاب الرقمي مستقبلاً والأولوية لشاشة الحاسوب (١١٪) و(٧٪ على (e-book) و٢٪ فقط للهاتف النقال ومثلها للسماع على أقراص cd وبالمقابل هناك شريحة واسعة أعرضت عن فكرة القراءة على الشاشة أياً كان نوعها، وقد بلغت نسبة هؤلاء ٧٧٪ ممن يتصورون أنهم سيتابعون سنواتهم القادمة في تقليب الصفحات.

هذا الاستفتاء ينسف فكرتين: الأولى أنه لاتباين تقريباً بين الأجيال في الآراء حول القراءة والثانية أن الفرنسيين لايفكرون أبداً بعبارات النقائض من قبيل (الورق مقابل الرقمي)، وبعد هذه الإجابات نلاحظ أن لاتناقض بين وسائل القراءة فهي تتعايش مع بعضها دون مشكلات وهذه هي حال ربع الأشخاص الذين وجهت لهم الأسئلة حيث أكدوا أنهم في الخيار الثاني سيقرؤون عن طريق شاشة الحاسوب كما يفضلون سماع رواية مطبوعة على قرص مدمج وبصوت شخص كوميدي مثلاً، ومن الملاحظ أن النساء يتكيفن مع الحضارة التقنية أكثر من الرجال (١٥٪ مقابل ٨٪).

ولئن كان المستقبل للتكنولوجيا الجديدة يمكن لدور النشر كما للمكتبات التقليدية أن تطمئن لأن الورق لن يموت وبالنسبة للمرحلة الحالية فهي غير واضحة إذا لايوجد سوق للكتاب الرقمي والدليل على ذلك أن الروايتين الأخيرتين للكاتب مارك ليفي «النهار الأول» و«الليل الأول» حققتا نجاحاً مدهشاً في المكتبات وإخفاقاً تجارياً رقمياً وهذا هو الحال لجميع المؤلفات الأخرى ولن يحول ذلك دون نشوب جدل حول حقوق النشرالرقمية.

على أي حال عالم الأدب ينتظر(ipad d apple) التي قد تحدث ثورة لكن على رأي الكاتب جان كلود كاريير المتابع للحركة الثقافية منذ نصف قرن فإن التوقعات لاتفيد بشيء وذاك مستقبل غير منتظر.

آراء كثيرة حول هذا الموضوع لكتاب ودور نشر تم اختيار بعض منها: الكاتب والفيلسوف فانسان دولاكروا:

لن أقرأ رواية على الشاشة

يقول: لن أقرأ يوماً الرواية على شاشة حاسوب، لقد كونت نفسي ونشأت على قراءة الورق أنا بحاجة إلى أن أقلب الصفحات وأطويها، بحاجة إلى أن أشم الورق مع أني شخصياً أقسو كثيراً على كتبي فكثيراً ما أتركها جانباً لحين العودة إليها ثانية وغالباً ما أقرأ ستة أو سبعة كتب في آن معاً، لذا أتعامل مع الكتب بفوضوية.

الوقت الذي أمضيه على الحاسوب هو فقط لكتابة مقالاتي وللاتصال بالآخرين، أما كقراءة على الحاسوب فهي تتعبني حتى لو كتاباً علمياً وبالنسبة للفلسفة والنقد الأدبي فأنا بحاجة للتعليق وكتابة الحواشي عليها دائماً.

ايزابيل لافون مديرة نشر قالت حينها «لاتيه»:

الورق متعتنا

أفضل دائماً العمل على الورق، صحيح أننا نستقبل كل شيء على الإنترنت بما فيها المخطوطات وهذا غير طريقتنا في العمل، الكتاب الفرنسيون يطلبون منا إن كنا نرغب باستقبال نصوصهم على النت أو بالبريد العادي، وفيما عدا بعض الاستثناءات فإننا نختار النسخ الورقية دائماً فنحن لانقرأ مخطوطة على الشاشة.

اليوم نعيش مرحلة اضطراب إلى حد ما وهذا يشبه ورشات العمل الضخمة، ننتظر بفضول الآيبود أما الآن فعملنا باق كما هو.

لن تفرض علينا وسائل التكنولوجيا نعمل في المخطوطات والغلاف وترتيب الأوراق، ولانعلم فقد تفتح التكنولوجيا الجديدة فضاء رومانسياً جديداً مع النصوص الصغيرة!.

الكاتب والمؤرخ المسرحي ايضا قال حينها جان كلود كاريير:

القراءة الحقيقية عبر الورق

يقول: ما إن يتجاوز النص الثلاث صفحات تجدني لا أستطيع قراءته على الشاشة مع أني أقدر تماماً قيمة المراجع التكنولوجية وخاصة فيما يتعلق بالوثائقيات، فمكتبة ليون مثلاً رقمنت ٥٠٠٠٠٠ عنوان وهذا مفيد جداً وعملي، لكن القراءة الحقيقية هي عبر الورق فأنا أحمله وأقرؤه، أنا متابع لتطور المكتبة الوطنية الفرنسية منذ (خمسين عاماً) وهذه ليست الثورة الأولى، لقد مررنا بالميكرو فيلم الذي يسمح بتخزين كميات كبيرة من المواد المطبوعة في حيز ضيق، ومن ثم جهاز (سكانر) واليوم الاستخدام الرقمي، إذاً الجدل بهذا الشأن ليس بجديد.

السينما أيضاً عرفت هذه الظاهرة، لذا فنحن نعيش دوماً في دوار تقني، وعلى مدى خمس سنوات لن نكون قادرين على جواب السؤال عن مصير التقنيات الجديدة.

طبعاً المراجع التقنية لها آفاقها وتمتلك أبعاداً عملية حقيقية وهذه فائدتها الكبرى، فأن نستطيع الوصول إلى مكتبة بكين ونحن في بيوتنا فهذا شيء رائع لكن المسألة مسألة اعتياد، وبالنسبة لي فالورقة تأسرني بسحرها ورونقها، علاقتي مع الورقة علاقة حميمة وحين ألمسها بيدي أشعر بدفء.

ثم هل تتخيلون معي متعة أن نحظى مثلاً برواية مهداة من مالرو إلى صديق، وأن نغوص في تقليب صفحاتها وقراءتها؟ وسيبقى الكتاب يسيلون حبرهم في هذا الصدد ولن تتغير عادات الفرنسيين في قراءتهم التقليدية.

ومن متابعتنا للمشهد الثقافي الغربي عموماً والفرنسي خصوصاً في ظل الجوائح المرضية رأينا أن الإقبال زاد قليلاً جداً على الشاشة، ولكن الورق سرعان ما استعاد قوته ولاسيما مع عمل دول الاتحاد الأوروبي على تخصيص موازات ضخمة لدعم النشر الورقي، ولاسيما في فرنسا التي تحتفي كل عام بما يسمى موسم القراءة أو الجديد في النشر، الكتاب الورقي كما قال معظم من استفتاهم الاستطلاع ظل على ما هو وبالتالي لن يموت الورق وسوف يظل حبره حاضراً بل يزداد قوة.

هل الكتاب الرائج جيد...؟

دلال إبراهيم

خلال الموسم الأدبي الخريفي الممتد من منتصف شهر آب حتى منتصف شهر تشرين الأول تنتظر ٤٩٠ رواية على رفوف المكتبات في فرنسا رأي لجنة التحكيم لاختيار الكتب التي تصنف في قائمة (أفضل المبيعات) وتتوجه إليها جوائز أدبية وفكرية رفيعة، وذلك في طقس تنفرد فيه فرنسا عن بقية دول العالم. يقابلها لدى الدول الانكلوساكسونية ظاهرة (البيست سيلر) أو (الأكثر مبيعاً). فهل تصنيف (الأفضل مبيعاً) أو الجوائز الأدبية هي علامة الجودة للكتاب؟ «ليس بالضرورة أن يتم قراءة الكتاب الذي حاز لقب أفضل المبيعات - تقول الناشرة فريديريك بوليه - وهذا ما يدعوه في الدول الأنجلو - ساكسونية (الكتاب الضجة) أي الكتاب الذي نرغب بشرائه لنكون ضمن التيار. بينما الكتاب المطلوب لفترة طويلة هو الكتاب الضجة أي الكتاب الذي يثمنه الجميع وينتشر بسرعة إلى حد أن إصداره ككتاب جيب يصبح له تأثير مضاعف». «لا يمكن تفسيره» هذا ما يعترف به الكاتب موريي باربيري أينما حل حين يُطرح عليه السؤال نفسه عن روايته (أناقة القنفذ) الصادرة عام ٢٠٠٦، ويتابع قائلاً عن الرواية التي أصبح رينيه الحارس فيها شهيراً بعد نقلها إلى السينما من قبل جوسيان بالاسكو«ربما لأنها تماشت مع أمور شائعة» وقد بيع من هذه الرواية ١،٣ مليون نسخة. وإن أقسم الناشرون ويدهم على قلبهم أن هذا الكتاب سيكون معجزة، هذا لأنهم يعلمون أن لفن التسويق باعاً طويلاً في تلك القضايا.

على مر العصور شكلت الجوائز الأدبية موضع شكوك وانتقاد وتذمر، وكان يُشار بالبنان إلى تجاوزاتها وإدانة إلى تنازلاتها وسخرية من خياراتها. ويعتبرها الكثيرون مجرد آلة حرب في خدمة شهيات البعض القليل. أما الأدب فلم يستفد من مناوراتها. وساهمت في التركيز حول بعض العناوين على حساب البعض الآخر. باختصار تسهم الجوائز الأدبية في جذب الانتباه ولكن ليس دوماً نحو الأفضل.

ومع ذلك تكاثرت تلك الجوائز وتولّد بعضها من بعض، وفي أغلب الأحيان كانت ضد بعضها البعض، مثلاً في فرنسا جاءت جائزة فيمينا كرد على جائزة غونكور وجائزة ايديم رد على رينودو حتى أصبحت الجوائز في فرنسا أشبه بمؤسسة جمهورية، وواصلت مواسم الجوائز إغواء مواسم النشر. وكأن كل شيء بما فيه الشكوك غرضها تحريك آلة خلق الأحاسيس والانطباعات.

وفي بلد يتوق إلى التميّز مثل فرنسا، يمكن لأي كاتب فرانكوفوني أن يزعم أنه حصل على ٢٠٠٠جائزة. وأي كاتب يمكن أن يحلم بالجائزة حتى ولو كان متوسط نسبة إصداراته من الكتب قد تناقص منذ عشرة أعوام. ويبقى

السؤال الأساسي المطروح هو: مهما كانت حسنات وسيئات هذه الجوائز، أليس هذا الكرنفال من الظل والنور الذي يحيط بتلك الجوائز يعتبر ورقة رابحة للحياة الأدبية في أي بلد ؟ إنها نوع من التراث المشترك يحمل الفائدة للجميع بمن فيهم غير المكرمين مباشرة.

ولا يثير الإعلان عن الجوائز الأدبية، مثل جائزة أوارد وبوليتزر الأميركيتين أو جائزة البوكر البريطانية هذا الهيجان والفوران كالذي يثيره الإعلان عن جائزة غونكور الفرنسية، نظراً لأنه مشهود لفرنسا أنها مترسخة بصفة (أمة أدبية) تقدس أدباءها. ويعزز الإعلان عن الجوائز تلك الخاصية التي ترتكز على أساس جذب الأنظار طقسياً نحو الكتب ومؤلفيهم وناشريهم.

وهؤلاء ينطلقون في اللعب على المواسم الأدبية، حيث يتناثر مد من الكتب في فرنسا خلال تلك الفترة الممتدة من منتصف آب حتى منتصف تشرين الأول على واجهات وطاولات المكتبات بحيث يمكن أن نقول عنها إنها صناعة حقيقية للكتاب، وحيوية لمهنة النشر. والظاهرتان ترتبطان ببعضهما بعضاً، الجوائز تتوقف على المواسم وهذه بدورها تتوقف على الجوائز. وضمن سياق اقتصادي صعب، يمكن أن يغير تكريم كتاب ما من مصيره، وفي هذا الصدد تعترف صاحبة دار ميركور في فرنسا قائلة «هذه الجوائز تضاعف من أرقام المبيعات بالنسبة للدور الصغيرة». أما مدير دار **Seuil** فيقول «تطرح هذه الجوائز في السباق كتب أكثر قيمة أدبية مقارنة بكتب أفضل المبيعات، ولولا تلك الجوائز ما كانت ستصل هذه الكتب إلى هذا الأرقام من المبيعات».

وتبدي لجان التحكيم للجوائز الأدبية في فرنسا الآن، اهتماماً خاصاً ينصب في تشريع اختيارها، نظراً للتهم التي ألصقت بها فيما مضى، فيما يتسم تقاسم الأمكنة بالسرية. ولكن يعترف مدير دار ستوك «لا شك بوجود ترتيبات ما، حيث يفضل بعض أعضاء اللجنة اختيار كتب لدور نشر كانت قد سبق ونشرت لهم» وعلى الدوام يتقاسم قالب الحلوى عدد محصور من الضيوف، نفس المجموعة ضمن مضمار السباق ونفس الناشرون الذين يتم تكريمهم».

إنما تتجاوز مهمة هذه الجوائز الإسقاطات المالية المباشرة، وهذا ما يتفق عليه الجميع. حيث تعطي مؤشرات هي دليل للناشرين الأجانب الباحثين في شراء الكتب (حينما يتعلق الأمر بكاتب غير معروف ولم تترجم أعماله) وكذلك للقراء التائهين بين هذا الكم الكبيرمن الكتب المطروحة. وبما أن أعضاء لجان التحكيم يعتبرون محترفين في القراءة، فإن أذواقهم في هذا الخصوص تعتبر مثل (علامة جودة)

ومهما كان فإن هذا النظام يُدخل عامل المتعة على الحياة الأدبية، مثل سيرك متنقل يمر مرة في العام على قرية هادئة. في الواقع، إن الجوائز تبعث وتُحرك الحياة الأدبية، ويصفها أحد الناشرون «هي لحظة يصبح فيها الكتاب مركزياً، كما لو أن حبنا للكتابة أصبح على نحو مفاجىء ممكن اطلاع الآخرين عليه بطريقة مدهشة.» أي إن كل شيء يتم من أجل إعطاء نكهة للأشياء، حتى ولو كانت اللجنة التي تخوض منافسة حامية فيما بينها تميل شيئاً فشيئاً نحو تمييز الكتاب، الذي سجل نسبة عالية من المبيعات لكي تكرس شهرته، الأمر الذي يثير الشكوك خلال نشر قائمة الترشيحات في الأسبوع الذي يسبق الإعلان عن اسم الكتاب الفائز بالجائزة. ويرى باتريك بيسون عضو لجنة رينودو في هذا الإجراء تعذيباً للكاتب والناشر. بينما لا تقاسمه الناشرة سابين ويزبيسر هذا الرأي التي ترى في تلك القائمة، ولا سيما قائمة جائزة غونكور موجهة للناشرين الأجانب ومثلهم للقراء والمكتبات.

وعلى الجانب الإيطالي اخترع ثلاثة من عشاق الأدب وهم البرتو كاسادي واندريا كورتيليسا وجويدو ماتسوني ما دعوه (التصنيفات النوعية) وهو نوع من الدليل الأحمر للأدب بالتعاون مع مهرجان **pordedonelegge-dedalus** الأدبي والذي يقام كل عام في بوردينوني بالقرب من مدينة البندقية، ويقدم قائمة بالعناوين المختارة من قبل لجنة التحكيم المكونة من الكتّاب والنقاد والفلاسفة والفنانين والمحررين. وجميع الكتب التي تظهر في هذا الترتيب تُعرض للبيع في متجر إلكتروني. وهذه بدورها تهدف إلى إحياء دور النشر الصغيرة والمتوسطة. «ليست كل الكتب الجيدة تصل إلى تصنيف (أفضل المبيعات) فمعظمها إن لم تكن كلها مدعومة بالدعاية والكلام الشفهي تختفي في العدم. هنا في متجرنا نختارالكتب المتميزة وفق معايير الجودة، والتي قام بنشرها صغار الناشرين» - إنه جيش الكتب البطيئة يستعد لمواجهة أكثر الكتب مبيعاً» يعلق اندريا كورتيليسا.

هل مسّك الشلل...؟!

فوزي الشنيور

لِمَ يا أبا أحمدَ
تَدخل في فضاءٍ لا يشبُهك ؟
تتخلّى عن قبَعتِك التي نُسجتْ
من طيبتِك الصافية
تمشي عارياً من الكلمات التي كان يتزاحمُ
النحلُ عليها
تظمأُ من الماءِ الذي تنهلُه
تتوجّسُ من الحشراتِ الهامدة
وممن كنتَ تأوي إليهم
لِمَ تهربُ من أشياء
كنتَ تبحثُ عنها ؟
تودُّ لو أنكَ لا ترى غيرَكَ
أن لا يذهبَ الليلُ من حولِك
والأسوأُ من ذلك
إنك دخلتَ في سباتٍ شتوي
لكأنكَ سقطتَ إلى أسفلِ البئرِ
ولا تحاولُ الصعودَ
ماذا جرى لكَ ؟
هل مسّكَ الشللُ
أم من كانَ حولكَ
لا يحاولُ إلا إطلاقَ الرصاصِ عليكَ
من فمِه الملوّث بالدماء ؟
أعرفُ أنكَ لن تتكلّمَ
لأن الذين كنتَ تُحاربُ بهِمْ
أصبحوا يُحاربونكَ
لذا آويتَ إلى نفسِكَ
التي ترتاحُ معَهَا
في اللحظاتِ الباقية

حلب

د. سلوى الحلو

وأنا أخبئك بين الخفقة والخفقة..يا حلب ..

كيف لا يحلو الشوق والطرب ..

وأنت بماء العطر ..

بكل نفيس الأرض ..

بالتبر والذهب ..

كتبت تاريخ العروبة ولا عجب..

وسيف الدولة طول العمر للروم غاز..

واليوم ينهض من قلعة الحب..

ورايات النصر تاريخها ألف كتاب وكتاب ..

يا واسطة العقد بين أنوار الهدى ..

مناراتك باقية تملأ الارض والمدى ..

الكون من غيرك رجع صدى ..

ظلي على الدهر خالدة ..

نحن السراب وأنت الميلاد والهدى ..

ظلي حلب مرتع العمر الجميل .وحكاية

النصر الذي على جبين الدهر انكتب.

ولا عجب فانت حلب واسمك من ذهب

مواويل

هنادة الحصري

ماذا أقول للمواويل ، للأشجار ، للهواء ، للسحابات ؟!....

ها هو ركنك المعتاد ، والحضارة الدمشقية العطاء ....

وها أنت دعواتك ، شالك ، قراءاتك ورود الغاردينيا ..

فكيف أطبقت الجفون ؟!...

كيف تسافرين وياسمينك المضفور بنده ، يشرق

بالبكاء

ودعاء الفقراء يدغدغ الثناء ؟ ...

حتما سترجعين كالسنونو ...

لتهدينا مصحف الأفراح ...

صيّرني غيابك كالمركب سقطت عند أشرعته .

أينك لا تودعينني ؟...

اتركي يديك في يدي ...

يا شام قولي لم تمت ...

يا شام قولي لم تمت ...

لكن الشمس يلفحها السواد

رغم قنديلك المضاء ...

ماذا بقي للقلب إلا أن يتوقف ؟!.